الفصل السادس

الحرب العالمية الأولى

المبحث الأول

أسباب الحرب

من الأسباب المباشرة للحرب قيام طالب متطرف من أهل البوسنة، بإطلاق الرصاص على (الأرشيدوق فرانز فرديناند) ولي عهد النمسا في ٢٨ حزيران من العام ١٩١٤، في سرايفو عاصمة البوسنة، في حين كان يقوم بزيارة رسمية لتلك الولاية، فقتله هو وزوجته، فاجتاحت على أثرها عاصفة من الاستياء في مملكة النمسا- المجر، ومع أن تحقيقاً أجرته الحكومة النمساوية لم يتوصل لدلالة مباشرة، على تواطؤ الحكومة الصربية، في حين كانت شكوك النمسا- المجر تحوم حول تواطؤ صربيا في القضية، فاتجهت الحكومة النمساوية بدعم من الحكومة الألمانية بتحرك سريع نحو ضرورة إعلان الحرب على صربيا، والتي أعلنتها بالفعل في ٣٠ تموز من العام ١٩١٤، ويمكن أن نعزو الأسباب الرئيسة إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى ما يلي:-

١. سياسة سباق التسلح: تصاعدت سياسة سباق التسلح في دول الوفاق الثلاثي، وفي إمبراطورية النمسا- المجر بشكل يفوق نمو تسليحها عما ما قبل حتى غدا شبح الحرب ماثلاً قبالة الأعين، إذ كانت الحكومات الديمقراطية تسعى إلى كسب موافقة برلماناتها على أعتمادات التسلح، فتسهم في زيادة خطر وقوع حرب كبرى، وكانت دوائر قياصرة ألمانيا، والنمسا، وروسيا تؤكد على الحاجة الملحة لمواجهة أوضاع استثنائية دولية، فضلاً عن الخطب الحماسية للسياسيين والمقالات الصحفية المثيرة للمشاعر القومية، وفي خلال العام ١٩١٣، أصدرت الدول المتنافسة قرارات بفرض زيادة القوات المسلحة زيادة كبيرة في النمسا، وفرنسا، وروسيا، وظهرت الدعوة إلى التجنيد الإجباري في بريطانيا في العام ١٩١١-١٩١٢[1].

أن أبرز ما ظهر من سباق للتسلح هو سباق التسلح البحري بين بريطانيا وألمانيا. فقد بدأت ألمانيا منذ العام ١٩٠٠، في وضع أول خطة متكاملة لبناء قوتها البحرية التي أقلقت بدورها بريطانيا، والتي أخذت بدورها تعيد بناء مدمراتها من النوع الثقيل، ومن نوع جديد قابلته ألمانيا بإنتاج مدمرات ثقيلة بعدد أكبر، وكان من شأن الخطة الألمانية تهديد التفوق البحري البريطاني بعد أن أصبحت قوة الدول البحرية تقدر بالقياس إلى

عدد هذا النوع الجديد من المدمرات الثقيلة، وليس على أساس السفن القتالية. على أن السباق على التسلح البحري لم يكن من مصلحة بريطانيا، لأن ألمانيا كانت تستطيع الاستمرار في عملية السباق، بل حتى التفوق فيها، نظراً لمقدرة العمال الألمان الفائقة في الميدان التكنولوجي، نظراً لانخفاض أجورهم نسبياً بمقارنتها بأجور العمال البريطانيين.

لقد كانت فكرة إنشاء أسطول بحري ألماني ترجع إلى مؤسس الأسطول البحري الألماني الأدميرال فون تربتز الذي كان يرى أن تقدم ألمانيا الاقتصادي لابد أن يؤدي إلى منافسة مع بريطانيا في مجال التجارة والاستعمار، وكان يرى أن خير وسيلة لإجبار البريطانيين على الاعتراف برغبات ومصالح ألمانيا في هذين المجالين هو إنشاء أسطول حربي مؤهل لمجابهة الأسطول الانكليزي، ولا شك أن بريطانيا كانت تعدّ نفسها سيدة البحار لامتلاكها أقوى أسطول حربي آنذاك نظرت بقلق إلى بناء القوة البحرية البريطانية. أما سباق التسلح البري بين ألمانيا وفرنسا، فقد كان قائماً منذ نهاية الحرب بينهما في ١٨٧٠-١٨٧١، وقد بلغ هذا السباق ذروته في صيف العام ١٩١٣، إذ كل من ألمانيا وفرنسا[٢].

وفشلت محاولات تحديد التسلح، ولم تصل إلى نتيجة، فقد دعت روسيا القيصرية إلى عقد مؤتمر للسلام في لاهاي لهذا الغرض في العام ١٨٩٩، إذ رفضت ألمانيا تحديد قوتها البرية، كما رفضت بريطانيا أي مساس بتفوقها في البحار، ولم يكن حظ مؤتمر لاهاي الثاني في العام ١٩٠٧، بالفضل من المؤتمر الأول فيما يتعلق بنزع السلاح، وعدا هذين المؤتمرين جرت أكثر من محاولة من قبل الحكومة البريطانية بسبب ضغوط الميزانية العسكرية للتوصل إلى اتفاق مع ألمانيا بشأن تحديد قوتها البحرية، وذلك للسنوات ١٩٠٧-١٩٠٨، و١٩١٢، إلا أن جميع هذه المحاولات فشلت. فقد اشترطت ألمانيا على بريطانيا وقوفها على الحياد في حالة نشوب حرب بين ألمانيا، ودولة أخرى في أوربا مقابل الموافقة على الحد من التسلح البحري، إلا أن الحكومة البريطانية رفضت أعطاء مثل هذا التعهد لألمانيا، لأنه قد يشجعها على مهاجمة فرنسا[٣].

٢. التنافس الاستعماري: يشغل التنافس بين الدول الأوربية في ميدان الاستعمار جزءاً مهماً من تطور العلاقات الدولية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد أدت الثورة الصناعية إلى مساعي حثيثة من قبل الدول الأوربية للحصول على المستعمرات لغية تأمين الأسواق الخارجية

المواد الأولية اللازمة للصناعة، والمواد الغذائية من هذه المستعمرات. وقد خلق هذا التكالب على المستعمرات أزمات وصراعات سياسية وعسكرية بين الدول الأوربية، وكانت بريطانيا وفرنسا قد سبقت غيرهما من الدول الأوربية في ميدان الاستعمار، وتمكنت من الاستيلاء على مناطق واسعة في أسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر دخلت قوى أوربية جديدة إلى ميدان التوسع الاستعماري، وبدأت تطالب بحقها في امتلاك المستعمرات خارج أوربا، وهذه القوى هي ألمانيا وايطاليا، إلا أن دخول هذه القوى إلى الميدان الاستعماري جاء في وقت متأخر لم تعدّ فيه مناطق كثيرة يمكن التفكير في السيطرة عليها، ولا سيما أن اليابان انفردت تقريباً بالشرق الأقصى، وترتب على ذلك احتدام المنافسة الاستعمارية منذ مطلع القرن العشرين[1].

لقد تخلت ألمانيا عن سياسة بسمارك الذي كان يدعو إلى عدم التورط في ميدان التوسع الاستعماري، لأن ذلك يضعف ألمانيا، ويورطها في صراع مع الدول الأوربية، ولكن بعد تركه السلطة في العام ١٨٩٠، أصبحت ألمانيا ترغب في أن يكون لها ذات النفوذ الذي تمارسه أوربا في القارات الأخرى. وقد رأت بريطانيا وفرنسا في هذه السياسة تهديداً لمصالحها الاستعمارية. أما ايطاليا، فلم يكن دخولها ميدان الاستعمار بلا مشكلات فقد كانت تسعى إلى احتلال تونس، إلا أن فرنسا سبقتها في ذلك سنة ١٨٨١، الأمر الذي أدى إلى استياء ايطاليا، وتحالفها مع ألمانيا والنمسا، وأستمر هذا الاستياء حتى سنة ١٩٠٢، عندما وقعت اتفاقية فرنسية- ايطالية اعترفت فيها فرنسا بأطماع ايطاليا في ليبيا مقابل اعتراف الأخيرة بأطماع فرنسا بالمغرب[2].

٣. مشكلات القوميات: أخذت ألمانيا تشعر بعد احتلالها للألزاس واللورين بعجزها عن امتصاص سكان هاتين المقاطعتين، وتمثيلهم رغم التنازلات الواسعة التي قدمتها لهم، وظل سكان الألزاس واللورين يتطلعون إلى اليوم الذي يعودون فيه مجدداً إلى الوطن الأم فرنسا، وكانت ايطاليا تتطلع إلى استرداد تريستا، وترنتينو التي بقيت خارج الدولة الايطالية الموحدة، وتحت السيادة النمساوية، وكان البولنديون في شرق ألمانيا، وفي روسيا يتطلعون إلى الاستقلال،وتشكيل دولة بولندية، وكانت الأقلية الدانمركية في دوقية شلزفيك تتطلع إلى الانضمام مجدداً إلى الدانمرك، وكان الرومانيون في بسارابيا الخاضعة لروسيا، وفي ترانسلفانيا الخاضعة إلى المجر يتطلعون إلى الانفصال

1- العصر نفسه، ص٢٣٢.
2- المصدر نفسه، ص٢٣٢.

عنها، وتشكيل إتحاد تعاهدي من سلافي الجنوب يضم ولايات البوسنة والهرسك ودلماشيا، وكانت مملكة صربيا تسعى إلى قيام دولة يوغسلافية بزعامتها في البلقان، إلا أن الإمبراطوريات الثلاث روسيا، وألمانيا، والنمسا كانت تتحسس الخطر الحقيقي الذي يتهددها من جراء الحركات التي تقوم بها هذه القوميات الواقعة بين بحر البلطيق شمالاً، والبحر المتوسط جنوباً، فألمانيا لم تفكر يوماً في إعادة الألسزاس واللورين إلى فرنسا، بل كانت ترسم خططها العسكرية على أساس توجيه ضربة عسكرية أخرى إلى فرنسا، إذا ما حاولت استردادها، وكانت روسيا القيصرية ترى في تحرر الفنلنديين، وألمان البلطيق، والبولنديين، والرومانيين من سكان بسارابيا تهديداً بفقدان أسواقها الغربية التي أمنت التصرف بها على هواها منذ عهد بطرس الكبير، كما رأت في ذلك تحولاً للإمبراطورية الروسية من قوة ذات طابع أوربي إلى قوة ذات طابع آسيوي صرف، وإن الإمبراطورية النمساوية رأت في الحركة السلافية خطراً يهددها، ولذا حاولت أضعاف هذه الحركة بتشديد قبضتها على الأقليات القومية داخل الإمبراطورية، وضم البوسنة، والهرسك إليها، فأثارت بذلك استياء الأقليات القومية كما أثارت مملكة صربيا في البلقان [1].

4. العامل الاقتصادي: على الرغم من هذا التوتر الشديد الذي كان ينتاب أوربا كلما وقعت أزمة كبيرة، كانت أوربا تنمو اقتصاديا مستفيدة من تفوقها في الإنتاج الصناعي، وفي طرقها الحديدية المتجددة في النقل، ومن تخلف المستعمرات القديمة أو الجديدة التي كانت تحت غير الدول الأوربية الاستعمارية، إلا أن الأسواق الاستهلاكية في هذه المستعمرات، وفي العالم القديم المتخلف كانت تستوعب كميات متضاعفة من الإنتاج الأوربي الأمر الذي أهب المنافسة سوء الاقتصادية أو العسكرية عند دراسة الأوضاع الاقتصادية الرئيسة في أوربا، وفي الوقت الذي كان فيه حجم التجارة الدولية يزداد شدة. وقد بالغ العديد من المؤرخين في تصوير هذا التنافس الاقتصادي بين دول الوفاق، ودول الحلف الثلاثي حتى لقد جعلوا العامل الاقتصادي العامل الأول الذي أدى إلى قيام الحرب العالمية الأولى [2].